



ريبورتلج عن ارضنة الجثث المحروقة

- ١ -

قلبه رأس أفعى ، مدمج بالآلات القتل والدمار ، غسلوا دماغه بصابون الحقد والوحشية ، بعد أن عزلوه بين أوكار الذئاب وأعرنة الكواسر ، وأقنعوه بأنه من أنقى العروق البشرية ، اختاره الشيطان الامبريالي ليقرض بأسنانه السامة كل أنواع الحشائش والازهار ، ويبقى شوكة صبار في عين البحر .. ثم ساقوه شبعا يفرغ الاطفال ، وكابوسا يفترس أعلام العذارى ، وقيل كان يرعى الاغنام في الوهاد ، يغني تحت سماء زرقاء ولا زال ناي القصب - رفيقه القديم - يحدثني عن أغنيات رددت الوديان صدها ، أغنيات دافئة كاشعة الشمس فوق شوارع الثلج ، فسيحة كحقل قمح ، زاهية كدغل ورد ، وعلى كل أغنية يهبط طيف راعية عارية بين المروج ، وهين اقتربنا من الجثة التي تنز صديدا ، انتفض الناي بين أصابعي ، والانغام فرت هلعة في كل اتجاه .

- ٢ -

وحدثونا أنه قطع البحر ، وصارع الموج بقارب سري ، مهنته قابض أرواح وأموال ، يفضل تدويره الليرة عن تدويره النهد .. وفي رأسه شرائط رعب وخرائط جرائم لم ينفذها بعد ، عيناه غرابان اختنقا بدخان قصر السعديات ، هو نفسه السذي ألقى القنابل فوق المدارس والافران ، وداخل خدور السنناوات ، ذابح الشيوخ حول مواقد الجمر ، وباتر شفاه العشاق فوق الينابيع ، وباقر البطون على أسرة الولادة .. نفسه الشبح الملتخ اليدين بدماء أطفال العالم : في دماغه أشكال البنادق وآلات التعذيب ، وفي قلبه تخفق شهوة مصاصي الدماء .. انه الغول الذي أفرزته أساطير الاقطاعيين ، وأوهام البرجوازيين ، انه صديق « الشيخ ببير » وقد لبى نداء « الضمير والواجب » ... الا أن رصاصة حاملة بالشهادة ، فجرت نفسها داخل قلبه ، وتركته يلطم بحفرة لجسده المتناثر بين نيوب الكلاب .

- ٣ -

وقالوا أيضا : كان سكيراً عربيدا ، يقطع زند الصبية الناعم

ان كان يزهو بالاساور ، ويخفق الطفل ان كان بكاؤه سيكشف احدى سرقاته الليلية ، وقيل أنه فتح بمديته صدري شاب وصديقه لما عرف عنهما من هيام احدهما بالآخر ، ولاك قلبيهما بأسنانه مبررا فعلته بحاجته الى تعلم المحبة ، فجاوزه بأعلى قرويات الجبل ، وأفخر الخمر ، وأعطوه آلة معدنية محشوة بالشر ، ومن كوة في شقة تطل على أي شارع يصطاد كل حالم مطمئن يسير أعزلا في طرقات المدينة ، وهين كان عاريا ، يشتم رائحة الغابات ، ويلقي شيئا معدنيا كثعبان نائم فوق العشب ، تعانقت أهذاب عينيه ، واستسلمت مفاصله لاغراء عروسة النوم

يقال : كانت شاحبة كالشمع ، استسلمت له ، وفي سرير من النار والدخان ، ذابا برعشة الشهوة ، حتى أشرفت الشمس عليه جثة محروقة فوق حطام رصيف ملغع بالضباب .

- ٤ -

وحدثونا عنه أشياء كثيرة ، عن ولادته في صحراء قفراء حيث فتح عينيه لأول مرة على جسد قمحي يمزقه الرصاص ، وقالوا أنه قاتل مع عساكر الملك حسين ضد الفدائيين الشاهرين دماهم بنادق غضب في وجه الصهاينة ، كما قالوا أنه انخرط في سرايا حراس القصر الجمهوري ، وأنه نفسه الذي أزاح الكرسي من تحت قدمي أحد المناضلين ليتدلى جثة محفورة في مناديل النساء الارجوانية . كما أنه المتهم بقتل غسان كنفاني لانه كان أميا وضليعا بالعبرية والفينيقية .. أما أحدهم فقد همس في أذني : ألم تقرأ عنه في « أقدام الشيوعيين المصريين العارية » ..؟

هجرته شبه متشف .. الا أنه قبض على عنقي حين وضعت رأسي مساء على الوسادة ، وقال لي متجهم الوجه : - انها مهنة أيها الغبي ، كما امتهنت أنت التشرذم والبحث عن حرية بلادك ، انها تنور الخبز الذي فاحت رائحته من جفتي .. ليس ذنبي فقط ، انه ذنبي أيضا ، ذنبيكم أنتم ، لانكم لم تجدوا لي مهنة أفضل .